التشكيل في طوابع البريد السودانية

البقيع بروى

يعتبر طابع البريد من ناحية المضمون طريقة لجباية تكلفة الارسال من جهة لاخرى وبه تلتزم جهة الصدور.أما من ناحية الشكل فهو عباره عن قطعة ورقية عليها تصميم يطبع في مساحات ومقاسات متعارف عليها وهو صك حكومى يحمل فئة تدخل في الحساب النقدى بتعريفاته المختلفه ويصدر الطابع بقانون ويلغى بقانون أيضا .

والغرض الاساسي من اصدار الطابع هو أن الرساله التي عليها الطابع خالصة رسوم الدفع .أما الاغراض الاخرى فجاءت حسبما اقتضته سنة التطور كوسيلة اعلامية تعكس مايدور داخل وخارج الدول المنتجه للطابع من النواحى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ،وذلك لأهتمام عدد ليس بالقليل باقتناء الطوابع ذات الفكرة والموضوع والالوان الجذابه للتعرف على الدول التي تصدرها .ولقد قامت الطوابع بهذه المهمة خير قيام، كما أن الطابع المعاصر بشكله هذا أصبح وسيطا تداوليا تشكيليا كبقية الوسائل التشكيلية الاخرى وتبعا لذلك فقد أنشئت أقسام ومؤسسات وجمعيات تخدم هواة جمع الطوابع وتلبي احتياجاتها .

نشأة الطوابع في العالم:-

كان ارسال المراسلات في العالم يتم بطرق متعدده اذ أنها كانت تقتصر على طبقة الحكام والاغنياء ورجال الدين.ففي انجلترا مثلا أنشئت الوكالات لتسهيل عملية ارسال الخطابات ،وكانت باهظة التكاليف، وكثيرا ماكانت تجزل العطايا للسعاة .ولم يلبث أن استبدل هذا النظام بنظام الأختام كدلالة أن الرساله خالصة رسوم الدفع.واستمر هذا الوضع لفترة غير أنه كان يوجد هنالك نوع من الغش من بعض العاملين،فكثيرا ماكانوا يأخذون قيمة الرسالة دون ختمها مما تسبب كثيرا في ضياع بعض الرسائل .وفي هذا الاثناء فكر الانجليزى «رونالدهل» في تصميم أول طابع بريد في العالم (١٨٤٠) وهو يعرف حاليا بالطابع «الاسود» وبعد عامين صدرت أول مجموعة من الطوابع الانجليزية تحمل صورة الملكة فكتوريا بلون أحمر داكن ولون أزرق،ولقد كان الطابع متساوى الأطراف الى آن أدخل عليه البولندى هنرك آرثر نظام «الشرشره»وهى مميزة لاغلب الطوابع عن غيرها من المطبوعات ولا يزال الانجليز في تصميماتهم لايكتبون اسم انجلترا اذ أن صورة الملكة تكفي لتميز الطوابع الانجليزيه .

ثم تبعت انجلترا عدة دول في اصدار الطوابع وهى البرازيل(١٨٤٣)، فنلندا(١٨٤٥) الولايات المتحدة(١٨٤٦) الاتحاد السوفيتي(١٨٤٨) وفرنسا(١٨٤٩).وفي فرنسا كانت طوابع البريد عباره عن بطاقات ثم منح لويس العاشر (١٦٥٣) رئيس ديوانه امتيازا بانشاء صناديق بريد يضعها في شوارع باريس على أن يحصل على مبلغ معين نظير القيام بتوزيع المراسلات التي توضع في هذه الصناديق والتي تكون مرسله لمناطق داخل حدود المدينة وكان على مرسل الخطاب أن يدفع هذا الأجر مقدما وبعدها يعطى بطاقة يلصقها على الخطاب المراد ارساله .

الطوابع في البلاد العربية:-

كانت كثير من الدول العربية والى عهد قريب تستعمل طوابع فرنسيه أو هنديه أو ايطاليه موشحه أو غير موشحه .وكانت مصر لما لها من تقدم حضارى وصلات وثيقة بالدول التي سبقتها في اصدار الطوابع البريديه أول الدول العربيه والافريقيه التي قامت باصدار طوابع خاصه بها وذلك عام ١٨٦٦م وقد أعقبت مصر تونس في عام ١٨٨٨ فالمغرب في عام ١٨٩١ ثم السودان في عام ١٨٩٨م عندما قرر اللورد كتشنر تصميم طابع خاص بالسودان والغاء الطوابع التي كانت أصلا طوابع مصريه عليها رسم أبي الهول وكتب عليها كلمة «سودان» بالانجليزية والعربية. تلت السودان ليبيا(١٩١٢) والسعوديه(١٩١٦) وسوريا (١٩١٩) والاردن(١٩٢٠) والكويت(١٩٢٣) والجزائر(١٩٢٤) ولبنان(١٩٢٤) ومسقط وعمان(١٩٤٤) وقطر(١٩٥٧) والامارات(١٩٦١) .

خدمات البريد في السودان في العهد التركى:-

لم يعرف السودان استعمال الطوابع الا في العهد التركى، وكانت خدمات البريد آنذاك محصورة في بعض المدن الهامة كسواكن وحلفا حيث كانت طوابع البريد المصريه والتي طبعت خصيصا في عام ١٨٦٦ لاستعمالها بين مصر والسودان هى السائده آنذاك .ويعتبر مكتب بريد سواكن أول مكتب استعمل تلك الطوابع(١٨٦٧) وتلاه وادى حلفا ثم دنقلا ثم بربر ثم الخرطوم وذلك خدمة للرعايا المصريين بالسودان .وكانت سواكن(٣) في ذلك الحين تتبع اداريا وسياسيا لاسطنبول ،وكانت تربطها بالعالم الخارجى معاملات نشطه واغراض تجاريه بحكم موقعها كميناء .وقد عثرت في ديسمبر ١٩٧٩-عند زيارة طلبة كلية الفنون الجميلة والتطبيقية الى سواكن على مجموعة نادرة من الطوابع يرجع تاريخها الى ستين عاما أو يزيد .

وبحكم تبعية سواكن لتركيا نجد أن الطوابع التركيه أو الدمغه التركية كثيرة الاستعمال .فنجدها في

الخطابات وايصال التلغراف وقد كتبت «تمغا»أو «تمغاى» .ولا ندرى على وجه التحديد متي دخلت الطوابع التركيه السودان ولكن ضمن مجموعة من الخطابات التي عثرت عليها في سواكن خطاب عليه ختمان بتاريخ ١٢٩٦هـ وهما على الخطاب نفسه وليسا على الظرف ولم يكن الختمان من الوضوح بحيث يمكن قراءتهما.

خدمات البريد في عهد المهديه:-

كانت خطوط التلغراف والسكك الحديدية التى جاء بها المستعمر أول اهداف الثورة المهدية وذلك لاضعافه وتشتيت قوته.

وكانت الوسيلة[٤٤] المستعمله لارسال خطابات المهدى هى الجمال والخيل.ويعهد بها لرجال أقوياء مؤتمنين عليها لا يرون في المهدى غير المنقذ والهادى الى طريق الحق .فكان الدين حافزا لهم في مهمتهم فترى الرجل منهم يركب جواده عدوا الى الجهة المعنيه دون توقف الا أن تكون الدابه قد أصيبت. وباسم المهدى كان بامكانه أن يأخذ حصانا آخر يواصل به رحلته حتي يسلم الرساله .وقد أرسلت جميع رسالات المهدى في الداخل والخارج عن طريق هؤلاء السعاة .وكانت الوسيلة المستخدمة لنقل خطابات المهدى لغردون بالمراكب أو عوما على النيل حيث توضع الرسائل في ابريق لضمان عدم اتلافها .

تصميم أول طابع بريد سوداني:-

تميز الحكم الثنائي في السودان باعطاء أهمية كبرى لخدمات البريد في السودان.فقد أنشأ خطوطا للسكك الحديديه ومكاتب للبريد وذلك خدْمة للجنود وتيسير اتصالهم بذويهم لرفع روحهم القتاليه، اضافة للغرض الرئيسي وهو ربط مدن السودان بعضها ببعض .وقد أغلقت بعض هذه المكاتب بعد فترة قصيره من تاريخ افتتاحها لأنها قامت كمعسكرات للجيش وأغلقت بانتهاء فترة المعسكر .

من ذلك مثلا، معسكر ود رملى للاستجمام اثناء التقدم لمعركة أم درمان في عام ١٨٩٨ وقد استعمل ختما دائريا ،عليه هلال ،ونجمه في أعلى الدائره وكتب عليه «ود رملى»بالحروف الانجليزية .

ذكرنا من قبل أن الطوابع التي كانت سائده الاستعمال في السودان في العهد التركى حتي بداية الحمله النيلية ١٨٩٤-١٨٩٦ هى الطوابع المصرية التي كتب عليها بالانجليزية والعربية «سودان».وبعد نجاز خط التلغراف بمحطة كريمه والذى ربط الضفة الغربية بالشرقية تم ترحيل الجنود لتشييد خط يمر

بدنقلا والدبه فكورتي ثم مروى حتي الكاسنجر في نهاية الشلال الرابع وقد توج لورد كتشنر نتصاراته–بعد أن حفزته تلك الانجازات بعمل طابع خاص بالسودان، فطرح الفكرة على جنوده مستحثا اياهم في انجازها في مده لاتتجاوز الاسبوع وكان ذلك بالقرب من أبي حمد قرب النيل. ولكن الجنود والى نهاية قرب المدة المقررة لم ينجزوا شيئا مما أراد اللورد كتشنر .ثم تصادف أن جاء رجل من على البعد راكبا ناقته مقبلا نحو المعسكر فتأملته الكولونيل ستانتون Stanton »فتبين له انه ساعى البريد القادم من مصر وكان البريد يأتي من مصر مرتين في الاسبوع وكان الرجل يحمل بندقية ويربط بجانبي الناقه مخال بداخلها البريد .وهناك من يقول أن الرجل الذى أتي نحو المعسكر كان شيخا من قبيلة الهواوير واستوحى الكولونيل استانتون من هذا المشهد تصميمه ورسمه كاول طابع بريد سوداني ونال التصميم رضي اللورد كتشنر بعد عودته فأمر بارساله الى انجلترا لطباعته وقد كتب عليه «بوسته سودانيه» .

أنواع الطوابع في السودان:–

تنقسم الطوابع في السودان الى عدة أنواع وهى :–

١– الطوابع العادية:

تستعمل هذه الطوابع في البريد العادى لعامة الناس ولكل أنواع البريد وهناك نوعان من رسائل البريد: البريد السطحى، وهو ما ينقل بالبر والبحر والجو وتختلف قيمة تخليص الطابع حسب الوسيلة والمسافات .

٢– الطوابع الحكومية:–

كانت تستعمل الطوابع العاديه في المراسلات الحكوميه دون تمييز ثم خصصت طوابع للمراسلات الحكوميه في عام ١٩٣٦ وهذه الطوابع لاتختلف عن مثيلاتها العاديه ،فقط أضيف لها الحرفان (SG) اختصار كلمتي حكومة السودان (Sudan Government)ثم تعدل الحرفان (S.R.) اختصارا لجمهورية السودان (Sudan Republic) لتتميز عن العاديه وتستعمل في المراسلات الحكوميه فقط .

٣- الطوابع التذكارية :-

تصدر هذه الطوابع لمناسبات قوميه أو دوليه أو لمؤسسات أو جمعيات تريد أن تصدر هذا النوع من الطوابع كذكرى.ويتميز هذا النوع من الطوابع بأن سريان مفعولها لا يستمر أكثر من ستة أشهر فقط وبعد ذلك لا يسمح لاى مكتب بريد بتداولها مع الجمهور.ولكن يمكن لمن يملك مجموعة كاملة أن يستخدمها في المعاملات البريديه الى أن تلغى هذه الطوابع بقانون .والمجموعه اصطلاح يستخدم عند إصدار الطوابع وربما يزيد عددها عن ثلاثة طوابع .

٤- الطوابع المغرمة :-

عادة تلصق بخطابات غير مدفوعة القيمة أى التي لاتحمل طابعه ويقوم بالتخليص المرسل اليه ولكنها الغيت الآن نسبة للوعى الذى فرض على الناس ضرورة التأكد من وضع الطابع .

اصدارات الطوابع :-

الاصدار الأول :-

بعد طباعة أول تصميم لطابع بريد سوداني في انجلترا ،أعيد الطابع الى اللورد كتشنر الذى سلمه بدوره الى ماكسويل بك مدير مصلحة البريد والتلغراف الحربيتين وطرح الطابع للتداول في أول مارس ١٨٩٨م بفئات المليم حتي خمسة مليمات ومن قرش واحد الى عشره قروش وقد بيع أول طابع من مكتب بريد بربر .

ثم أعيدت طباعة فئات المليم مرة أخرى وصدرت للبيع في أول يناير ١٩٠٠م في عهد المستر غردون مدير البريد آنذاك .

وفي عام ١٩٠٢م، في عهد المستر ليدل ، صدر الاصدار الثاني الذى يحمل رسم الجمل . ولم يتغير التصميم والفئات ولكن في أكتوبر ١٩٠٧م أضاف المستر تيرنر فئة العشرة مليمات في سنة ١٩١٢م - ١٩١٣م.

في عام ١٩٢٢م ، في عهد المستر «وين» صدر الاصدار الثالث وهو يحمل رسم الجمل وأضيفت إليه فئة الخمسة عشر مليما بالاضافة إلى الفئات السابقة.

ثم كان الاصدار الرابع في عام ١٩٢٧م بعد أن ضم الفئات التالية لتصبح ثلاثة قروش وأربعة

قروش وستة قروش وثمانية قروش وعشرين قرشا.ولقد كانت الاصدارات منذ الاصدار الأول تحمل سم «بوستة سودانية» وهى مأخوذة عن الطوابع المصرية على النمط الايطالى.وتغير هذا الاسم ليصبح «بريد السودان» حسب النشرة رقم ٢ لقسم هواة الطوابع.واستبدلت كلمة «غرش» التركية بكلمة «قرش» وتمت مراعاة قواعد اللغة العربية أيضاً في المفرد والمثني والجمع لكلمة «مليم» وقد تم التعديل في ٢٨ مايو ١٩٤٦م .

وكان الاصدار الخامس في يناير ١٩٤٨م في عهد المستر ليدل أقون وطرح بالفئات من مليم واحد وخمسة مليمات ثم عشرة مليمات فخمسة عشر مليماً.أما فئة القروش فكانت قرشين وثلاثة قروش وأربعة قروش وخمسة قروش ثم ستة وثمانية قروش وعشرين ثم خمسين . ولم يتغير التصميم منذ الاصدار الأول .

وفي مارس ١٩٤٨م تم تكوين لجنة لتصميم الاصدار السادس وطرح للتداول في أول سبتمبر ١٩٥١م بعد أن أضيف طابع ذو فئة ثلاثة قروش ونصف إلى الفئات السابقة. وقد أضيفت تصميمات تحمل رسوما وصورا تعكس أوجه الحياة في السودان.وظهر طابع الجمل ضمن هذه المجموعة وقد مر عليه خمسون عاماً وكان يحمل أكبر فئة للاصدار وهى خمسين قرشاً.وفي هذه السنة تكونت لجنة الطوابع السودانية في عهد المستعمر لتساهم في عمل مقترحات للتصميمات واجازتها وسوف يجئ الكلام عن هذه اللجنة مفصلا .

وفي أكتوبر ١٩٦٢م صدر الاصدار السابع في عهد السيد / محمد صالح مدير عام البريد والبرق بفئات تبدأ من خمسة مليمات وخمسة عشر مليماً ثم خمسة وثلاثين مليما وخمسة وخمسين مليما أما فئات القروش فقد كانت قرشا وثلاثة وأربعة وستة وثمانية وعشرة وعشرين وخمسين قرشاً . وكانت هذه الفئات موزعة على تصميمات مختلفة . واحتل طابع الجمل مرة أخرى أكبر فئة ضمن فئات الاصدار السابع وهى فئة الجنيه الواحد . ولقد ظهر الطابع السوداني لأول مرة في ورق ذى علامة مائية (الخرتيت) رمز جمهورية السودان آنذاك . وكانت العلامة المائية المستعملة قديماً هى الهلال والنجمة.والعلامة المائية هى رسم سرى داخلى يستعمل في ورق البنكنوت أو الطوابع ويميز الأوراق النقدية الصحيحة عن المغشوشة ولا يرى الا بعرض الطابع أو ورقة النقد للاضاءة .

وجدير بالذكر أن جميع هذه التصميمات طبعت على الحجر عدا فئة الجنيه (الجمل) التي طبعت بطريقة الحفر .

طوابع غردون التذكارية :-

تعتبر مجموعة غردون التذكارية أول طوابع سودانية تذكارية صدرت في عام ١٩٣٥م وذلك

بمناسبة مرور خمسين عاما على مقتل غردون . وقد قام بتصميم المجموعة عدد من الانجليز في مقدمتهم السيدة /كاترين أولس زوجة السكرتير المالى آنذاك ، التي قامت برسم صورة غردون من لوحة كانت في قصر الحاكم العام (قصر الشعب حالياً) ولقد تميز هذا التصميم بالقدرة العالية على الرسم.

أما رسم التلوين فقد قام به كاتون وود فل الذى كان يعمل بالخدمة العسكرية . وهذا الرسم يصور غردون في خدمة الميدان . أما تصميم أو تصوير كلية غردون (جامعة الخرطوم حالياً) والتي بناها اللورد كتشنر تخليدا لذكرى غردون والتي أفتتحت في ٨/ نوفمبر /١٩٠٢م فمن المرجح أن يكون قد قام بتصويرها المصور الارمني كركشيان الذى سيرد ذكره كثيرا في التصميمات المصورة لاحقا .

والملاحظ أن هذه المجموعة كبيرة الاحجام بالمقارنة مع الطوابع السابقة واللاحقة وقد طبعت على الحجر في مطابع توماس دى لارو في انجلترا وتميزت بالجودة وجمال الالوان . وهى مجموعة نادرة لم أعثر عليها الا في خزانة مكتب مدير البريد والبرق بالخرطوم الذى تكرم مشكوراً بالسماح لى بتصويرها.

طوابع التلغراف العسكرى:-

هذه الطوابع صممت خصيصا للتلغراف العسكرى في عام ١٨٦٧م وكتبت بالاحرف (TEL) بالاسود والأزرق ولقد طبعت على ورق ذى علامة مائية (النجم والهلال)

طابع شجر النخيل:-

تم هذا الاصدار في يناير ١٩٤١م وهو للبريد الجوى ومن تصوير المصور الأرمني كاركشيان.

الطوابع المصرية للتلغراف :-

وعادت الطوابع المصرية ، والتي كتب عليها كلمة سودان لاستعمالها في السودان ، عادت مرة أخرى في ١٩ فبراير ١٩٠٠م موشحة بالاحرف (TEL) لاستعمالها في التلغراف العسكرى .

الطوابع المغرمة:-

استعملت طوابع المراكب الحربية موشحة بالحرفين (MS) للمراسلات المغرمة (كانت تلصق على المراسلات غير مدفوعة الأجر ويقوم المرسل إليه بدفع قيمتها . ومن طريف القول ان بعض الناس كانوا لايلصقون الطابع عن عمد ليطمئنوا على وصول رسائلهم . ثم الغيت هذه

لطوابع ولم يعد استعمالها واردا.

الطوابع الحكومية للخدمة العسكرية:-

هذا النوع من الطوابع موشح بالحرفين : (MS)اختصار (Military Service)وهى تعني الخدمة العسكرية والتصميم عبارة عن صورة الجمل,وكانت تلك الطوابع تستعمل في مراسلات الجنود في مابين الأعوام ١٩٠٣م -١٩٠٦م.

طوابع البريد الجوى:-

صدر في١٣مارس «١٩٣١م» أول طابع بريد جوى قامت بتصميمة زوجة السكرتير المالى في ذلك الوقت.ولقد فاز تصميمها من بين ثلاثة تصميمات تقدم بها مصممون آخرون ، ويصور التصميم غردون يعتلى جملا . ولقد صدرت في نفس يوم الاصدار ثمانية وخمسون والفا خطابا إلى انجلترا يحمل تصميم طابع غردون .

لجنة الطوابع السودانية «بعد الاستقلال»:-

تكونت بعد استقلال السودان في عام ١٩٥٦م أول لجنة للطوابع السودانية وكانت تضم خمسة عشر عضوا يختارون بقرار من مصلحة البريد والبرق ويمثلون مختلف التخصصات كالتربية والآثار والفن التشكيلى ومن اداريى البريد والبرق والمهتمين بالطوابع ومن اتحاد نساء السودان ، وهم كفاءات مقتدرة . والفنانون التشكيليون ، وهم ممثلون بثلاثة أو أربعة أعضاء ، يقومون بعمل التصميمات لتلك الطوابع . ومن مهام هذه اللجنة الأشراف على اختيار خمسة موضوعات سنوياً للاصدار ، وهى لطوابع تذكارية وعادية . وقد تجئ الطوابع التذكارية في شكل مقترحات من جهات أو دول أو أى من الاتحادات التي ينتمى إليها السودان كاتحاد البريد الأفريقي أو العربي أو العالمى . ولقد أشرفت اللجنة المكونة عام ١٩٥٦م على طوابع الاصدار السابع . وفي عام ١٩٧٢م تغيرت هذه اللجنة ، وتكونت لجنة جديدة هى اللجنة الحالية والمشرفة على معظم التصميمات للطوابع التذكارية عدا بعض التصميمات التي تجئ من قبل المنظمات العالمية واتحادات البريد اذ يكون دور اللجنة هنا الاشراف على وضع التصميم في اطار سوداني . كما تقوم شركة توماس دى لارو بانجلترا بتصميم بعض الطوابع بالتعاون مع هذه اللجنة .

ومن الملاحظ أن نسبة تمثيل الفنانيين التشكليين ضئيلة إذا ما قورنت بالعمل المؤكل إليهم من قبل اللجنة . كما أن التصميمات لا تطرح على بقية الفنانيين خارج اللجنة ، وبذا تنعدم المنافسة وفرصة الاختيار من بين الأعمال الجيدة وبالتالى منافسة الطابع السوداني للطوابع العالمية . أضف لذلك أن لجنة الطوابع السودانية لجنة مكلفة وغير متفرغة لاسيما وأن معظم أعضائها يشغلون مناصب كبيرة في الدولة في حين نجد في انجلترا مجموعة كاملة من الفنانيين التشكليين ، مثلاً ، متفرغة للقيام بهذه المهمة.

التشكيل في الطوابع السودانية منذ الاصدار الأول :-

واكبت الطوابع السودانية ومنذ اصدارها ظروفا وأحداثا فرضت عليها خصائص مميزة . فقد صممت هذه الطوابع بايدى أجنبية (انجليزية على وجه التحديد) قرابة الستين عاما ، وكان النمط الانجليزى هو ما يميز الطوابع القديمة من حيث معالجة مساحات وأستعمال ألوان وأسس متبعة للتصميم في ذلك الحين . ولقد التزم المصممون بعدم استعمال أكثر من لونين ، اذ أن نوع الطباعة المستعملة آنذاك هى الطباعة على الحجر.والمعروف أن الطوابع تنفذ بسرية تامة شأنها في ذلك شأن العملات الأخرى من بنكوت وغيره من الفئات النقدية ، لان هذه السرية تضمن عدم الغش فيها ومن المتعذر أن تطبع على الحجر ثلاثة ألوان مترادفات دون تغيير وتشويه . ولذا كان التركيز على لون واحد إلى أن ظهرت الطباعة الحديثة التي يمكن أن تطبع عددا من الالوان فوق بعضها البعض دون أن يكون هناك أدنى طمس أو تشويه في الالوان.

وجاء التغير في الطوابع من حيث المضمون والتصميم بعد الاستقلال رغم أن تصميمات الاصدار السابع مثلاً كانت إلى حد بعيد متأثرة بالتصميمات السابقة.لذا نجد أن التغير الحقيقي جاء في الطوابع التذكارية التي تلت الاصدار السابع وذلك لتعدد المصممين وهم سودانيون . واختلفت الطرق في معالجة التصميم كل حسب النمط الذى يسير عليه.

فنجد ما بين خمس إلى ثماني طوابع من تصميم فنان واحد تميز باسلوبه الخاص . كما نجد أن تصميمات عدد ليس بالقليل من الطوابع تجئ من جهات مختلفة كاتحادات البريد المختلفة التي ينتمى إليها السودان ومن منظمات دولية توزع التصميم على الدول المنضوية تحت لوائها. فمهمة المصمم هنا أن يضع هذا التصميم في اطار سوداني بعد أن يناقش من قبل أعضاء لجنة الطوابع السودانية. كما نجد أن بعض التصميمات قد صممت من قبل شركة توماس دى لارو في انجلترا والمعروف أن هذه الشركة تطبع للعديد من الدول.

وقد قام بتصميم الاصدار الأول الانجليزى الكولونيل ستانتون (Stanton) وفيما

مجموعة الأصدار

السابع

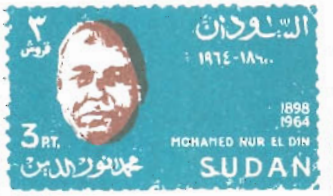

شخصيات سودانية

مجموعة طوابع وجدت

في سواكن - ١٩٧٩

تقدم قصة تصميمه لأول طابع بريد سوداني والظروف التي وأكبت اصداره وقد طرح التصميم في مدة وجيزة وكان عبارة عن أمر عسكرى نفذ في أسبوع دون أن تكون للمصممين فيه حق المناقشة .

هناك رأيان حول فكرة التصميم فالرأى الأول أن التصميم عبارة عن رسم لرجل من قبيلة الهواوير . و الرأى الثاني أنه «جمالى البريد» وهو رأى يعضده مجئ البريد مرتين في الاسبوع من مصر وبديهى أن تكون وجهته معسكر الجيش في أبي حمد . أضف لذلك أن الجمل كان وسيلة لنقل البريد ليس في السودان فحسب بل في كثير من أرجاء المعمورة . فني اصدارات القطر اللبناني نجد تصميم الجمل يحمل ذكرى البريد . وليس هناك ما يمنع الجمع بين الرأيين لأن قبيلة الهواوير عرفت بترحالها بين مصر والسودان فلا غرو أن يجمع التصميم بين فكرة جمالى البريد المنتمى في الوقت نفسه لقبيلة الهواوير . ولكن مصلحة البريد ترجح الرأى الأول فقد أصدرت بمناسبة مرور خمسين عاما على طابع الجمل طابعاً تذكارياً كتب عليه «جمالى البريد» وذلك في عام ١٩٤٨م . وبالنظر في التصميم نجد أن الطابع يحتوى على جزئين الأول هو الأطار الخارجى بالاضافة لاشكال هندسية مرتبطة ببعضها البعض وفي داخل الاطار عبارة «بوستة سودانية» بالانجليزية والعربية وفئة الطابع باللغتين العربية والأنجليزية . والجزء الثاني هو الرسم الذى يتوسط الاطار . وغالباً ما يكون الطابع مكوناً من لونين لا أكثر (ان لم يكن لونا واحدا) الأطار بلون والرسم بلون آخر أو كليهما معا من نفس اللون.وهذا يقودنا إلى الاعتقاد بأن كل لون يطبع على حدة ولا نجد على الاطلاق لونا متداخلاً مع لون آخر.وكما أسلفت فأن نوع الطباعة آنذاك بطريقة حفر التصميم على الحجر يفرض تحديد الالوان وطريقة الاستعمال . ومن المؤكد أن العوامل التقنية المستعملة في ذلك الوقت كان لها الأثر الكبير في التصميم من حيث اللون والمساحات،ورغم هذا فقد استطاع المصمم أن يبرز التصميم بحيث يكون واضحاً وجذاباً في حدود الامكانات المتاحة . ولقد طبع هذا التصميم كما ذكرت من قبل في مطابع توماس دى لارو في انجلترا في ورق ذى علامة مائية وهى الهلال والنجمة . ولقد كانت مجموعة الطوابع السودانية وغير السودانية التي عثرت عليها تحت الانقاض فى سواكن، والتي مضت عليها عشرات السنين بالوانها ثابتة جميلة .وفي اعتقادى أن نوع الحبر الذى كان مستعملاً في تلك الأيام كان من الجودة بمكان حتي أنه قاوم الرطوبة والحرارة طيلة هذه المدة . وقد تنوعت الوان تصميمات الاصدار الأول من طابع إلى آخر حسب الفئات. والنمط الذى نفذ به التصميم هو نفس النمط الذى كان شائعاً في كثير من طوابع بلدان العالم في تلك الأيام .

لقد واكب تصميم الجمل جميع الاصدارات وما زال . فني الاصدار السادس تجئ تصميمات جديدة لاول مرة . وقد تصدر المجموعة جمالى البريد بمناسبة مرور خمسين عاماً على تصميمه وتعدى هذا التصميم الطوابع واستعمل في الأوراق النقدية والقطع النقدية المعدنية بجميع فئاتها والتي ما زالت مستعملة حتي الأن بل صار شعارا لبنك السودان العالمى «بنك الاستثمار سابقاً» .

وما يمكن أن يقال عن التصميم في الاصدار الأول ينطبق على التصميمات في الاصدارات اللاحقة حتي الاصدار الخامس لأن التصميم في حد ذاته لم يتغير بل تغيرت الفئات والالوان فحسب .

التصميم فى الاصدار السادس

يعتبر الاصدار السادس نقطة تحول كبيرة في تصميم ظل صامداً قرابة الخمسين عاما.فقد أشرفت لجنة حكومية على تصميمات هذه المجموعة ، وقام الكولونيل الانجليزى اتكانسون « » والمستر كاركشيان بتصميم طوابع هذا الاصدار وحوت المجموعة ملامح شخصيات سودانية وحيوانات فكانت معبرة لواقع الحال.تصدر تلك المجموعة تصميم جمالى البريد ليحتل أكبر فئة في هذه المجموعة وهى فئة الخمسين قرشاً.

من ناحية التصميم فقد احتفظت جميع التصميمات في هذا الاصدار بنفس روح الاصدارات السابقة فنجد اطاراً خارجياً وصورة في داخل الاطار مع اضافة وتغيير في الكتابة التي على الطابع . فقد اختفي تعبير «بوستة سودانية» أو بريد السودان «ليحل محله كلمة «سودان» فقط باللغتين العربية والانجليزية .

نجد في هذا التصميم رسما لرجل من قبيلة الهدندوة موضوعا في داخل دائرةوفي أعلى الدائرة دائرتان عليهما تصميم لخنجرين متقاطعين اشارة الى استخدام هذا النوع من الخناجر في منطقة شرق السودان والمعروف «بالشوتال»موابراز الخنجر بهذه الطريقة فيه ربط لموضوع التصميم وهو يرمز لرجل الشرق ولقد قام بتصميمه كولونيل (**Atkanson**) واذا تتبعنا بقية التصميمات نجدها قد عولجت بنفس الطريقة . فنجد في تصميم آخر قارب الكانو في الجنوب وعلى جانبيه درقة «وكوكاب» وهى من أدوات الصيد في تلك المنطقة.واذا جزأنا التصميم نجده مكونا من الاطار والصورة والدائرتين وفي أسفل الطابع مساحة لكتابة الفئة وكلمة سودان.والملاحظ ان الاطار عليه زخارف متنوعة باشكال هندسية متناسقة مع الصورة الداخلية فالزخارف. وهى في الواقع رسم معمل «استاك »،تتناسب والاشكال الدائرية للمبني وهذا التناسق يجعل التصميم مكملا لبعضه البعض.ولقد عالج كاركشيان تصميماته بنفس أسلوب كولونيل اتكانسون .

والوان هذه المجموعة التي طبعت بمطابع توماس دى لارو بانجلترا لا تزيد عن لونين اثنين ، وهى هادئة بين الازرق والبني والاخضر وموزعة بحيث تسهل عملية التقاط الصورة المراد ابرازها على الرغم من ان بداخل التصميم أكثر من خمسة أجزاء هى الزخارف والاطار والرمز والصورة والدوائر الجانبية التي في أسفل التصميم . لكن طريقة استعمال اللون خففت كثيرا من هذه التعقيدات .

التصميم في الاصدار السابع :-

واكبت هذه المجموعة استقلال البلاد والذى مضمونه التحرر والانعتاق وجاءت لتعبر عن أصالة السودان الذى مازج بين حضارات ضاربة في القدم وتيارات ثقافية كان لها الأثر الواضح في تفرده بطابع حضارى وثقافي متميز .

ولكن جاءت هذه المجموعة تفتقر الى الموضوعية في الفكرة فهى تكاد تكون امتدادا للاصدار السادس على الرغم من أن ظروف الاصدار السادس كانت في عهد استعمار وتبعية وتسلط.والطابع الوحيد الذى يمكننا أن نقول أنه جاء بمدلول جديد هو طابع معبد بوهين ، هذا الأثر الحضارى الشامخ . أما بقية الموضوعات فهى عادية ومطروقة ، ولكن التغيير الذى حدث كان في معالجة المساحات . فنجد ان مسألة الاطار والصورة قد اختفت عدا تصميم خزان سنار الذى ظهر وكأنه وقع سهوا من بين مجموعة الاصدار السادس .وقد تكررت عملية لقيط القطن ولم يعالج الموضوع معالجة موضوعية من حيث الفكرة.فبدلا من مجموعة تحرث الارض نجد امرأة واحدة تلقط القطن .ولقد طبعت هذه المجموعة في مطابع توماس دى لارو بانجلترا .

التصميم في الطوابع التذكارية :-

مجموعة غردون التذكارية :-

تعتبر مجموعة غردون التذكارية أول طوابع تذكارية تصدر في السودان بعد طوابع بريد جوى غردون التى صدرتعام ١٩٣١م.وتأتي هذه المجموعة امتدادا لذكرى غردون وتعميقا لهذه الذكرى وهى تأتي بمناسبة مرور خمسين عاما على مقتل غردون . هذه المجموعة قام بتصميمها السيدة كاترين أوليس والمستركاتون وودقل وهما انجليزيان ، والمصور الارمني المستركاركشيان.وقد تميز رسم السيدة كاترين اوليس بالقدرة العالية على الرسم كما أبرز المستركانون مهارة فائقة في التلوين لاظهار غردون في الخدمة العسكريةويتضح لنا من خلال هذين النموذجين مدى ما أولاه الانجليز من عناية لتخرج هذه المجموعة في شكل متناه من الدقة والجمال وذلك تعبيرا عن عاطفتهم نحو غردون.ولقد جاءت تلك التصميمات في مقاسات غير عادية لم تتكرر في الاصدارات التي تلت هذا الاصدار وذلك اجلالا لذكرى غردون . أما صورة كلية غردون التذكارية فهى تحمل ذكرى بناية أقيمت تخليدا لذكراه وهى من تصوير كركشيان.وكانت الطباعة من العوامل التي ساعدت في ابراز هذه المجموعة بهذه الدرجة من الروعة والجمال .

وهذه المجموعة نادرة وهى موجودة في خزانة مكتب السيد /مدير البريد والبرق بالخرطوم ولا

زالت تحتفظ بجاذبيتها وجمال رونقها

التصميم في الطوابع التذكارية المعاصرة :

يمكن لنا أن نقسم التصميم في الطوابع المعاصره الى عدة مصادر :

أولها : اتحادات البريد والبرق المختلفة التي ينتمى اليها السودان ، وثانيها : المنظمات الدولية ، وثالثها : دول العالم المختلفة ، ورابعها : التصميم القومى الذى يبرز جوانب ثقافية سياسية واجتماعية ، وخامسها : تصميمات تقوم بها مطابع توماس دى لارو .

مما تقدم يتبين لنا أن المصممين السودانين يقومون بعمل التصميم القومى أو المحلى كما يقومون بوضع التصميمات التي تجئ من جهات أخرى كاتحادات البريد وغيرها في اطار يجعلها خاصة بالسودان . أما تصميمات مطابع توماس دى لارو فانها تكون بالتشاور مع أعضاء لجنة الطوابع السودانية . وعليه فان التركيز سوف يكون منصبا على الطوابع ذات المضمون المحلى بجميع اتجاهاته .

المتتبع للطوابع التذكارية القومية يجدها مواكبه وبصوره مكثفة للاحداث السياسية في البلد بينما نجد الاهتمام بالجوانب الثقافية والاجتماعية قليلا .

وبقراءة سريعة لأية قائمة طوابع أجنبية يمكننا أن نتعرف على الكثير من الجوانب التاريخية والثقافية والاجتماعية للبلد الذى تصدر عنه افلم يعد الطابع في زماننا هذا مجرد وسيلة لجباية كلفة الارسال بل تعدى هذا المفهوم ليكون وسيلة غير مكلفة يمكنها أن تصل أصقاع العالم لتخبر عن البلد المعني . فهى اذن مفاتيح للدخول للبلاد التي تصدرها ولهذا يمكن للطوابع السودانية أن تعكس السودان بتراثه وحضارته وطبيعته الساحرة•فالبعثة البولندية التي نقبت عن الآثار في شمال السودان ونالت حسب الاتفاق معها بعض قطع من آثارنا أخرجت مجموعة من الطوابع تحمل الآثار بعظمتها وشموخها وقد كتب عليها (Poleska) أى بولندا ، هذا ما قامت به بولندا أما السودان البلد العربي الافريقي الاسلامى ، فلا نجد له طابعا يحمل معني لصفته الاسلامية أو الافريقية (غير الطابع اليتيم لمعبد بوهين) أو العربية (غير الكتابة باللغة العربية على الطابع) ويمكن القول أن كثيرا من تصميمات طوابعه يمكن أن تنسب الى أى بلد آخر غير السودان اذ لا يوجد ما يميزها غير كلمة « سودان » .

ذكرنا من قبل أن لكل مصمم طريقته الخاصة في معالجة التصميم فنجد من يهتم بمعالجة المساحات باللون والخط ، ومن يهتم باستعمال التصوير الفوتغرافي (Line shot)ومن يتبع أسلوب التجريد وهذه الطرق أوجدت نوعا غير مستحب من التقسيمات فرض على الطابع السوداني انماطاً معينة لازمته ولا زالت .

وعمل التصميم عادة لا يطرح على التشكيليين خارج اللجنة وانما يقوم به الافراد من داخل اللجنة عدا قليل منها في حين أن الطريقة المتبعة في كل من فرنسا [٨] والمانيا وايطاليا وروسيا ومصر هى قبل أنه يصدر الطابع يعلن عن مسابقة بين الفنانين لتقديم التصميم الخاص بالطابع طبقا لمواصفات معينة يختار منها أحسن تصميم.وهنالك لجان من البريديين والفنيين والهواة تتولى القيام بفحص الالوان وقد تطلب أحيانا اجراء تغييرات في الرسم والارقام أو الحروف قبل الطبع النهائي.ومن هنا يتبين لنا أن الطريقة المتبعة في السودان حصرت • عملية التشكيل للطابع في نطاق ضيق ومحدود ومتكرر الانماط .

وكما هو معروف فأن الطوابع تطبع في شكل مجموعة هى عبارة عن ثلاثة طوابع مختلفة الفئات ولكنها في الغالب غير مختلفة التصميم وان تعدلت الالوان من طابع الى آخر . وفي اعتقادى أن تعديل اللون في بعض الطوابع قد أضعف فكرة التصميم وكان ممكنا أن يكون التعديل في التصميم من حيث معالجة المساحات ليحتفظ التصميم بقوته أو اختيار اللون المناسب،ولا يفوتني أن أشير الى أن بعض هذه المجموعات كان متقدما من ناحية التصميم ويمكن أن يكون نهجا تسير عليه الطوابع السودانية من حيث احتوائه للفكرة والمضمون مع الالوان الجذابة.وتميز التصميم السوداني على وجه العموم بكثرة المعلومات وهذا في اعتقادى يضيق الحيز في عملية التصميم . فلو تجاوزنا بعض المعلومات واقتصرنا على توضيح الفئة وكلمة سودان (فيما عدا بعض الطوابع التي يمكن أن تكون المعلومات مكملة للتصميم لنجحنا في ابراز التصميم بصورة مبسطة وواضحة .

والطوابع السودانية لا زالت تجافي قواعد اللغة العربية على الرغم من التغيير الذى جاء بنشره رقم ٢ لقسم هواة الطوابع لتصحيح الاخطاء اللغوية فنحن لا زلنا نجد عبارة «٢ قرشان » $\frac{1}{2}$ ١ قروش موجودة وهو أمر غير مقبول فى بلد عربى .ونتوقع مستقبلا أن يتدارك المسئولون هذه الاخطاء الصغيرة فى حجمها الكبيره فى معناها .

خاتمة :—

الظروف الاستعمارية التي عاشها السودان قرابة الستين عاما جعلت السودانيين أنفسهم بعيدين كل البعد عن تصميم الطابع وحتي عن الادلاء بأرائهم . فطابع الجمل ، على سبيل المثال ، ظل خمسين عاما دون أن يكون هنالك تصميم منافس له ، وهذه الاستمرارية أكسبته صلابة ليكون رمزا لطوابع السودان بل أن جمعية انجليزية تأسست في عام ١٩٦٦م في بيرمنجهام[٩] انجلترا أسمت نفسها :

"Sudan Study Group "Camel post

وهى حادبة على دراسة هذا النوع من الطوابع لسببين:الاول أنها متفردة وأكثر ما يشغل هواة جمع الطوابع ندرتها والثاني أنها قليلة التكلفة فقد كتب جون[١٠] اسوالس **John Swales** ان الطوابع السودانية مرغوبة وهى اشارة الى أن السودان لا ينتج كثيرا في مجال الطوابع كما هو الحال بالنسبة لدول العالم الأخرى وهى غير مكلفة اذ يمكن أن تتحصل على عدد كبير من الطوابع بثمن قليل وبسبب هذا الاقبال يجدر باللجنة أن تهتم بالتصميم وفكرته لتكوين الطوابع وسيلة دعائية واعلامية للسودان .

فالسودان لا يعاني مشكلة من ناحية الطباعة فهو كما ذكرنا سابقا يطبع في شركة توماس دى لارو في انجلترا وفي جمهورية مصر العربية ولكن المشكلة الاساسية هى الفكرة وعمل التصميم فلو طرح على كافة التشكليين ذوى التخصص في هذا الجانب فسوف تكون الفرصة أكبر في الاختيار السليم والنتائج عظيمة طالما أن هنالك منافسة واسعة . ويكفي أن توجه الاساليب المتبعة الآن التوجيه الصحيح.فعند معالجة موضوع كالآثار مثلا حرى بنا أن نستعمل التصوير الفوتغرافي مكتملا وليس (**Line shot** حتي تكون الصورة مجسمة . وهنالك موضوعات لاتعالج بالتجريد بينما هناك حرى يكون الرمز لمعالجتها معبرا . فالطوابع البولندية المأخوذ موضوعها عن آثار السودان في منطقة النوبة كانت عبارة عن صور فوتغرافية كتب عليها كلمة (**Poleska**) وفئة الطابع لا غير وقد كانت الالوان مريحة وهادئة بالنسبة للنظر .

نأمل أن نرى تصميمات طوابعنا اللاحقة في المستوى المنشود والله الموفق.

الهوامش

هذه الدراسة ارتكزت أساسا على المصادر الشفوية من مصلحة البريد والبرق واستخدمت كثيرا من آرائه وتعليقات أساتذتي بكلية الفنون الجميلة والتطبيقية الفترة (١٩٧٩ - ١٩٨٠م).

وأنتهز هذه الفرصة لاشكر أساتذتي وهم بروفسور أحمد محمد شبرين ، بروفسور مجذوب رباح والاستاذ أحمد الطيب زين العابدين ومن مصلحة البريد والبرق السيد / حسن ابراهيم بشير مدير مصلحة البريد والبرق ، السيد / حسن عبدالواحد ، السيد / رئيس قسم هواة الطوابع ، سيد قاضي .

٢. سمير صبحي « طابع البريد » في مجلة الشباب وعلوم المستقبل ، مؤسسة الاهرام القاهرية ، العدد الثاني ، السنة الثالثة سبتمبر ١٩٧٩م ص ٦٠

٣. صلاح الدين الشافعي ، الموانيء السودانية ، القاهرة مكتبة مصر ١٩٦١م .

٤. حسن عبدالواحد « تاريخ البريد والبرق في السودان» ١٩٧٩ ، (مخطوط).

٥. اختلف التشكيل في الأختام المستعملة بمرور الأيام ففي معسكر حلفا (١٩٠٥ - ١٩٠٧) وبارونكو (١٩٠٧- ١٩٠٩) وحلة عباس (١٩٠٨) وربك (١٩٠٨ -١٩١١) والجيلي (١٩١٠ - ١٩١٩) وقوز ابوقوما (١٩١٣) والحلفايا الثاني (١٩٠١) وكسلا (١٨٩٩) ومفازة (١٩٠٨ - ١٩٢٣) وطيبة (١٩١٣ - ١٩١٦) وود مدني (١٩٠٢) نجد أن كل هذه الأختام المستعملة قد توحد التشكيل فيها وذلك بان كان شكلها دائريا وبداخله انصاف دوائر في شكل نصف استداره القمر عليها خطوط رأسية تباينت أعدادها .

بينما كان ختم جبل الدبم (١٩١٧) ودرديب (١٩٣٤) واتبرا (١٩١١) — دائرى الشكل وكان اسم المعسكر أو المكتب يكتب مرة بالحروف الانجليزية ومرة أخرى بالحروف العربية دون التفات أحيانا الى الفرق بين اللغتين كما في اسم أبو فاطمة المشار اليه عاليه وقد كتب بالعربية « أبو فاتما ».أما ختم معرض شندى فقد صمم بمناسبة المعرض الزراعى وافتتاح مكتب البريد والبرق في مارس ١٩٥٠ وعليه الاسم بالحروف العربية والانجليزية ، وهو دائرى الشكل وعليه نصف استداره أسفل الدائرة على هيئة حدوة حصان وهو متميز عن بقية الأختام عدا ختم كركوج وهو عبارة عن شكل دائرى عليه خطان متقابلان على جانبي الدائرة فيهما انحناءة الى الداخل ، وقد كتبت كركوج بالعربية والانجليزية ومؤرخ بالانجليزية (٢٢ - أبريل ١٩٠٥) .

٦. حسن عبدالواحد ، المرجع السابق .

٧. معلومة من مكتب هواة الطوابع بالخرطوم .

٨. أوجه دراسة الطابع البحث رقم ٢٦ د . م.ن : د . ن ، د . ت ، ص ١٠